الفصل الحادي عشر

الشعر في عهد الإخشيديين

حاول محمد بن طغج الإخشيد أن يستقل بمصر وما يتبعها من بلاد الشام ، وأراد أن يكون له فيها ملك متوارث ، كما كان للطولونيين ، وقد نجح في ذلك[1] وساعده على الاستقلال ضعف الخلافة ، واستبداد القواد والوزراء الأتراك بأمورها ، وكثرة الفتن والثورات في حاضرتها وولاياتها .

وكان هذا الاستقلال سبباً في استمرار النهضة بالنواحي الأدبية التي بدأت تتأقلم من عهد الطولونيين . وكان من آثارها ظهور كتاب وشعراء مصريين ، وزيادة العناية بالنقد والرواية ، ووفادة العلماء والأدباء على هذه البلاد للتعلم أو التعليم ، وطلب الغنى والجاه فيها ، والاستقرار بها إذا طاب لهم المقام . وكان لتشجيع الأمراء ورجال الدولة أثر كبير في هذه النهضة ، فكان الإخشيد ممدحاً لفضله وأعماله ، وكان كافور أديباً أريباً محباً للعلم ، وألف الكندي له كتاب فضائل مصر[2] وكان محباً للأدب حريصاً على المدح والإثابة عليه ، وكان الوزير جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة فاضلا محباً للأدب حريصاً على المدح ، معنياً بالعلم وبالحديث خاصة .

---

(١) تولى محمد بن طغج أمر مصر سنة ٣٢٣ ، ومنحه الخليفة لقب الإخشيد سنة ٣٢٧ ومات سنة ٣٣٤ ، وهي السنة التي صار الأمر فيها للبويهيين ببغداد ، وأخذ البيعة قبل موته لابنه أبي القاسم أونوجور ، فبايعه القواد وكان أونوجور صغيراً فاختير أبو المسك كافور قيما عليه ، فاستبد بالأمر وظل صاحب السلطان في البلاد حتى مات أونوجور سنة ٣٤٩ ، وولي بعده أخوه أبو الحسن علي بن الإخشيد ، وكان صغيراً أيضاً ، فبقي السلطان لكافور ، ثم مات أبو الحسن سنة ٣٥٥ فاستأثر كافور بالأمر حتى مات سنة ٣٥٧ ، فخلفه صبي من الإخشيديين اسمه أبو الفوارس أحمد بن علي ، ثم استولى عليها الفاطميون سنة ٣٥٨ هـ .

(٢) المغرب ص ٤٨

وكان فى البلاد شعراء فى زمن الإخشيديين ، نعد منهم صالح بن مؤنس ، ومحمد بن الحسن بن زكريا ، ومهلهل بن يموت ، وعبد الله بن أبى الجوع ، وسعيد ابن فاخر المعروف بقاضى البقر ، والحسن بن على الأسدى ، وصالح بن رشدين ، والعباس البصرى ، وأبا هريرة عبد الله بن أبى العصام . كما وفد عليها شعراء من الأقطار المجاورة ، كأبى الفتح كشاجم ، وأبى الطيب المتنبى .

وظهر فى البلاد شعر متنوع الأغراض والأساليب ، ولكنه كان فى جملته مطبوعاً بطابع الروح المصرية ، ومتصلا بالبيئة التى نشأ فيها ، ومتأثراً بالحياة التى عاشها شعراؤه . وترى فيه المدح ، لرغبة أولئك الرؤساء فيه ، وحرصهم عليه ، ومجازاتهم للشعراء إذا مدحوا . كما ترى فيه الهجاء إذا سخط الشاعر على هؤلاء الرؤساء والسادة ، أو ضاق ذرعه بغير هؤلاء من الأصدقاء أو الأعداء . وترى فيه الوصف الجميل لمناظر البلاد ومتنزهاتها التى كانت مشهورة عندئذ ، وللأديرة وما يحيط بها من جنات ، وما يتصل بها من لهو ومرح وشراب وصيد ، وما يكون بها من متع وراحة نفس .

ولا يخلو مثل هذا الشعر المرح من عبث أحياناً ، ومن مبالغة قد تخرج صاحبها على حدود الأدب أو الدين ، ولكن بعض الشعراء كانوا يجدون من الحرية والتسامح ، وكان فيهم من ضعف الدين ، أو الرغبة فى التظرف ، ما يجعل مجاوزة هذه الحدود أمراً يسيراً .

وإذا رجعت إلى هذا الشعر وجدت فيه من المدح شعراً سهلا كتلك الأبيات التى مدح بها صالح بن مؤنس جعفر بن الفرات وأهله ، فقال فيهم[1] :

قد مر عيد وعيد ما اخضر لى فيه عود

---

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٢ .

وكيف يخضر عودى والماء منه بعيد
يا من له عدد المجد كلها والعديد
آل الفرات نداهم على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهود
وكل يوم لغيرى من راحتيك ممدود
هل لى إلى الرزق ذنب فكان منه صدود
ما الناس إلا شقى فى دهرنا وسعيد

وكان ابو القاسم بن أبى العقير الأنصارى ممن يعارض المتنبي ، وقد يحضر مجلسهما كافور وبعض الوزراء ، كأبى بكر بن أبى صالح الروزبارى ، وأبى الفضل جعفر بن الفرات . وكان لأبى القاسم مدائح فى الوزير أبى بكر[1] . كقوله :

أما الثناء فصادر بك وارد بادٍ بما تسدى إلى وعائد
لك يا أبا بكر إلىّ صنائع أيقظن أحوالى وجدى راقد
أوليتنى نعما متى أنكرتها شهدت على مواهب وفوائد

ثم يشير إلى كثرة مدائحه فيه فيقول :

وقصائد لى فيك لولا أنها كلم شهدت بأنهن مشاهد
ولهن فى عين الولى شواهد تترى ، وفى عين العدو جلامد

ومن الهجاء قصيدة قالها كشاجم فى هجاء غلام له اسمه كافور ، وعرض فيها بكافور الإخشيد ؛ إذ يقول :

حكيت سميك فى برده وأخطأك اللون والرائحة[2]

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ص ٣٧٣ (٢) ديوان كشاجم ص ٣٣

وقال صالح بن مؤنس قصيدة فى هجاء عبد الله بن أبى الجوع رواها الثعالبى فى يتيمة الدهر[١] ، وستأتى بعض أهاجى المتنبى فى مصر وفى كافور .

رثاء الأخشيد :

ولا يخلو شعرهم من رثاء :

إذ كان الرثاء وما زال مظهراً من مظاهر الوفاء للموتى ، أو التقرب إلى الأحياء من ذوى قرابتهم ، أو مشاركة فى حزن عام عند فقد العظماء .

وكان موت محمد بن طغج الإخشيد مثيراً لشاعرية بعض الشعراء فرثاه جماعة ، منهم محمد بن الحسن بن زكريا[٢] ، فى قصيدة لامية تحدث فيها عن موطن العبرة فى الموت ، وأنه مدرك كل امرىء أينما كان ، والدنيا فانية ، والمنون دائرة لا مفر لأحد منها ، ثم قال :

فجعتنا بواهب لا نراه ... يخلق الوجه عنده بابتذالِ
فجعتنا بمن حمى حرمة الإسـ ... ـلام من حادثٍ ومن ختال
فجعتنا بالباسل البطل الساـ ... ـمى غداةَ الوغى إلى الأبطال

ويشير إلى كرمه وحرصه على المدائح بقوله :

أين من يشترى المدائح والشكـ ... ـر بأسنَى وفْرٍ وأوفى نَوَال
قطع الموتُ وصلنا منه كرها ... والردى قاطعٌ لكل اتصال

ثم ترحم عليه وسقى جدثه . ثم خرج من الرثاء إلى مدح ابنه فقال :

إن خَبَا بدره فقد لاح للامـ ... ـة ، لما خبا ، طلوعُ الهلال

---

(١) جـ ١ ص ٣٤٧
(٢) نهاية الأرب للنويرى جـ ٥ ص ١٨٤

نوره مُشرقٌ مضيءٌ مدى الده ر منيرٌ وليس ذا اضمحلال

ورثاه رجل آخر من شعراء مصر اسمه مهلهل بن يموت فقال[1] :

أى عز مضى من الإسلام ! أى ركن أضحى حديث انهدام

ذاق مَوْتاً محمد بن طُغْجٍ هو ليث الشرى وغيث الغمام

ويستمر فى الرثاء ولا يأتى بمعنى جديد إلى أن يقول واصفاً سعة ملكه .

فَقَدَتك الفسطاط وجداً مدى الده ر ومن بعدها بلادُ الشآم

فجُعت يَثْرِبٌ ومكة والبيـ ـت إلى زمزمٍ ، أجل ، والمقام

ويعتبر بمن مضى من الملوك السالفين الذين دهمتهم حوادث الأيام .

ثم ينتقل إلى تعزية ابنه أبى القاسم وتشجيعه فيقول :

أيهذا الأمير ، بل يا أبا القا سم يابن السميدع القمقام[2]

ارضَ حكم الإله فى الملك الما ضى وسلِّمْ لنافِذِ الأحكام

وهَنَاك الذى بَلَغْت من الأمـ ـرِ وما حُزْته بحسن انتظام

ما كمثل الذى رُزِئت ولا مثـ ـل الذى قد ملكت فى ذا العام

أنت مثل الإخشيد فانهض بما مُلِّكْتَ بالجد منك والإعتزام

وأورد النويرى قصيدة عينية للمتنبى فى رثائه وتهنئة ابنه أبى القاسم فقال :

هو الزمان مُشِت بالذى جمعا فى كل يوم نرى من صرفه بِدَعا

لو كان مُمتنع تغنيه مَنْعَتُه لم يصنع الدهر بالإخشيد ماصنعا

ثم أشار إلى نكبة الإسلام فيه فقال :

لله ما حل بالإسلام حين ثَوَى ! لقد وهى شعب هذا الدين فانصدعا

---

(١) شرحه ص ١٨٦ (٢) السميدع القمقام : السيد الشريف .

وجاء بأعذار عن عدم سعى اللاحد إليه فقال : إنه لم يستطيع ذلك ، لأنه يجهل قدر من حل فيه ، ثم أعظم مصيبته عند معتفيه ومنتجعيه ثم قال :

لئن مضيت حميدَ الأمر مُفْتَقَدا لقد تركت حميدَ الأمر مُتَّبَعا

وهنا تخلص من الرثاء إلى مدح خلفه أبى القاسم ، ومضى فى المدح فقال :

أعطت أبا القاسم الأملاكُ بيعتَها ولو أَبَتْ أخذت أسيافُه البِيَعا

وانقاد أعداؤه ذُلاً لهيبته وظل متبوعهم من خوفه تَبَعا

أضحت به هممُ العلمان عاليةً كأن مولاهم الإخشيد قد رجعا

ولم يكن الإخشيد مجهولا فى البلاد التى كان ينزلها المتنبى ، وقد عرفه وكرمه من قبل . فكان رثاؤه له تقديراً وجزاء .

والمتنبى أقوى هؤلاء الشعراء فى رثائه[1] ، وليس فى شعرهم جميعاً من جديد حتى التخلص من الرثاء إلى التهنئة فإنه قديم فى الأدب العربي ؛ فقد دخل عبد الله بن همام السلولى على يزيد بعد موت معاويه فقال[2] :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة واشكر حباء الذى بالملك حاباكا

وكثر الجمع بينهما لما تقضى به المجاملة وحسن التعزية ، وكان ذلك أكثر عند رثاء ذوى السلطان .

* * *

---

(١) وكان الإخشيد بالشام فى بعض السنين وبلغه خبر المتنبى ، فاستدعاه وأكرمه ، وقال أنشدنى قصيدتك الدالية فى ابن القصيصى ، (على ابن إبراهيم التنوخى) فأنشده ، حتى بلغ إلى قوله .

فلما جئته أعلى محلى وأجلسنى على السبع الشداد

تبسم قبل تسليمى عليه وألقى كيسه قبل الوساد

فقام الإخشيد ، ولم يجلس له حتى يفرغ (المغرب ص ٣٥) .

(٢) نهاية الأرب ج ٥ ص ١٨٥

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٢

ومن الرثاء قصيدة طريفة فى موضوعها دقيقة فى معانيها حرص فيها قائلها على أن تكون ذاتية لا يشرك الميت فيها أحد ، وهى التى قالها عبد الرحمن الخشاب المصرى النحوى ، فى أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى ، المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٣٤٧ ، قال[1] :

بثثت علمكَ تصنيفاً وتقريبا ... وعُدْتَ بعد لذيذ العيش مندوبا
أبا سعيد ، وما نألوك إن نشرت ... عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه ... حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا
نشرت عن مصر من سكانها علماً ... مبَجَّلا بجمال القوم منصوبا
كشفت عن فخرهم للناس ماسجعت ... وُرْقُ الحمام على الأغصان تطريبا
حُجِبْتَ عنا ، وما الدنيا بمظهرة ... شخصاً ، وإن جل ؛ إلا عاد محجوبا
كذلك الموت لا يُبْقى على أحد ... مدى الليالى من الأحباب محبوبا

شعر الأديرة وما يتصل بها :

وكان فى البلاد كثير من الأديرة بعضها قريب من الفسطاط وبعضها بعيد عنها ، وكانت مواقعها جميلة على النيل أو فى سفوح الجبال ، وكان يحيط بها جنات من نخيل وأعناب ، وحدائق فيها أنواع الزهر ، وكان فيها قصف ومرح .

فكثر الشعر المصرى فى وصف هذه الأديرة وما يتصل بها ، وصفاً يمزجه الشاعر بما كان من مغامرات وسكرات ، ومجالس أنس ولهو ، وطرب ورياضة ، وتمتع بالصيد والقنص ، وقد يذكره ممزوجاً بالحسرة على الزمن الماضى أو الشباب الذاهب . ومن هذه الأديرة التى اشتهرت فى الشعر المصرى : دير القصير ، ودير نهيا ، ودير طمويه ، ودير سينا ، ودير مارحنا .

(١) الأدب العباسى للأستاذ نجاتى ص ٥٠٩

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن دير القصير شاعر مصرى اسمه أبو هريرة ابن أبى العصام قال :

كم لى بدير القصير من قَصَفِ ... مَعْ كل ذى صبوة وذى ظَرْفِ (١)

ولأبى الفتح كشاجم قصيدة يحن فيها إلى هذا الدير ، ويذكر ما كان له من مآرب ومشارب ، وأيام سرور ولهو ، ويحيى معه جنات حلوان والنخلات فيقول :

سلام على دير القصير وسفحه ... فجنات حلوان إلى النخلاتِ (٢)
منازلُ كانت لى بهن مآربٌ ... وكانت مواخيرى ومُنْتَزَهاتِى
إذا جئتها كان الجياد مراكبى ... ومنصرفى فى السُّفْن منحدرات
فأقنص بالأسحار وحشىَّ عينِها ... وأقتنص الإنسىَّ فى الظلمات
معى كلُّ بسام أغرَّ مهذبٍ ... على كل ما يهوَى النديمُ مُوَاتى
ولُحمانُ مما أمسكَتْه كلابُنا ... علينا ، ومما صِيد فى الشبكاتِ
إذا ما شئت باشرت طبخه ... على كثرة من غلمتى وطُهاتى
وصفراءُ مثل التبر يحمل كأسها ... شديدُ فتور الطرف واللحظات
كأن قضيبَ البان عند اهتزازه ... تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفو لى مشاربُ لذتى ... وتصحب أيامَ السرور حياتى

وكان هذا الدير على رأس جبل مشرف على النيل قرب حلوان فى طريق الصعيد ، فى غاية النزاهة والحسن ، وبه صورة مريم البتول ، وفى حجرها السيد المسيح ، فى غاية إتقان الصنعة . وكان أهل مصر ينتابونه ، ويتنزهون فيه لقربه من الفسطاط (٣) .

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦١
(٢) ديوان كشاجم ص ١٩
(٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٥٠٢

وفيه يقول محمد بن عاصم المصرى من أواخر دولة الإخشيد(١) :

إن دير القصير هاج ادّكارى   لهو أيامنا الحسان القصار
وكأنى إذ زرته بعد هجر   لم يكن من منازلى ودياري
إذ صعودى على الجياد إليه   وانحدارى فى المنشآت الجوارى
منزلا لست محصياً ما بقلبى   ولنفسى فيـــه من الأوطار
منزلا من علوه كسماء   والمصابيح حوله كالدرارى
كم شربنا على التصاوير فيه   بصـــغار محثوثة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت   فتنة للقلوب والأبصـــار
لا وحسن العينين والشفة اللمـــياء منها وخدها الجلنارى
لا تخلفت عن مزارى ديراً   هى فيه ، ولو نأى بى مزارى
فسقى الله حلوان فالنجـــد فدير القصير صوب العشار
كم تنبهت من لذاذة نومى   بنعير الرهبان فى الأسحار
والنواقيس صـــائحات تنادى   حيّ يا نائماً على الإبتكار

ودير طمويه فى الغرب بإزاء حلوان ، والدير راكب البحر ، حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر ، وهو نزه عامر آهل ، وله فى النيل منظر حسن ، وحين تخضر الأرض يكون فى بساطين من البحر والزرع ، وهو أحد متنزهات أهل مصر المذكورة ، ومواضع لهوها المشهورة(٢) .

ولابن أبى عاصم المصرى فى هذا الدير(٣) .

واشرب بطموية من صهباء صافية   تزرى بخمر قرى هيت وعانات

(١) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ج ١ ص ٣٦٣

(٢) مسالك الأبصار ج١ ص ٣٧١ نقلا عن الشابشتى . (٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٥٠٤

على رياض من النوار زاهرة ... تجرى الجداول فيها بين جنات
كأن بنت الشقيق العصفرى بها ... كاسات خمر بدت فى إثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدقٌ ... فى خفية يتناجى بالإشارات
كأنما النيل فى مر النسيم به ... مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا ... وكن قدما مواخيرى وحاناتى
إذ لا أزال ملما بالصبوح على ... ضرب النواقيس صبًّا بالديارات

وكان دير مارحنا على شاطىء بركة الحبش ، وكان بقربه جميزة يجتمع الناس عندها ويشربون ، وكان يذهب إلى هذا الدير شاعر مصرى ظريف ماجن ، اسمه العباس ابن البصرى من شعراء أبى القاسم أونوجور بن الإخشيد وكان مقرباً إليه ويركب معه ، ويلبس طيلسانا أزرق يتشبه بالقضاة ، وكان مليح المجالسة لطيف النادرة .

وللعباس شعر فى وصف الأديرة كقوله فى دير « نهيا » بالقرب من الجيزة[1] :

يا للديارات الملاح وما بها ... من طيب يوم مرَّ لى بتشوق
أيام كنت وكان لى شوق بها ... وأسير شوقِ صبابتى لم يطلق
يا دير « نهيا » ما ذكرتك ساعة ... إلا تذكرت الشباب بمفرقى
والدهر غضٌّ والزمان مساعد ... ومقامنا ومبيتنا بالجوسق
يا « دير نهيا » إن ذكرتَ فإننى ... أسمى إليك على الخيول السبق

ثم يصف صيد الطيور وما صاده منها فيقول :

وإذا سئلتَ عن الطيور وصيدها ... وجنوسها فاصدُق وإن لم تُصدقِ
فالغر فالكِروَانُ فالقارُورُ إذ ... يشجيك فى طيرانه المتحلّقِ

(١) الديارات لأبى الحسن الشابشتى ورقة ١٣٠

أشَهِدْتَ حرب الطير فى غيطانه　　لما تحرَّق منـــه كل محرقِ
والزُّمجُ الغضبانُ فى رهطٍ له　　ينحط بين مُرَعّـدٍ ومُبَرّقِ
ورأيت للبازىّ سطوة موسِرٍ　　ولغيره ذلّ الفقير المُملقِ
كم قد صبوت بغـرّتى فى شِرّتى　　وقطعتُ أوقاتى بِرَمْىِ البُنْدُقِ
وخلعت فى طلب المجون حبائلى　　حتى نُسِبْتُ إلى فعال الأخْرقِ
ومهاجر ومكاسر ومنافر　　قلقَ الفـؤادُ به وإن لم يقلقِ
لو عاين التفاح حمرة خده　　لصبا إلى ديباج ذاك الرونقِ
يا حامل السيف الغداةَ وطرفه　　أمضى من السيف الحسام المطلقِ
ارفق بعبدك لا تطل أشجانه　　وارفق به يا صاحب الثَّغْر النقى

وهذا شاعر آخر من شعراء الإخشيديين هو عبد الله بن محمد بن أبى الجوع الذى صادق المتنبي وروى عنه . وكان من كبار علماء اللغة فى مصر .

كان هذا الشاعر يستبق اللذات ويهرع إليها فى شعبان قبل أن يدركه الصوم[1] . ويدعو إخوانه إلى حفلة مرحة فيها خمر ونساء وورد وغناء فيقول :

شعبان قد صار نِضْوا　　ولم نُفِد فيه لهوا
وليس ذلك منّا　　جهلا ، ولا كان سهوا
فبالمودة إلاّ　　بكرْتَ للقصف عَدْوا
حتى نقومَ فنَرْفُو　　ما خرّق الدهر رَفْوا
من بعد تقديم جَدْى　　مُسَمَّن ظل يُشوَى
له ثلاثون يوما　　يحبو إلى الضرع حَبْوا
لما انتزعتُ حشاه　　عوَّضْتُه البقل حَشْوا

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٤

obeikandl.com

وقد عنيت بجامٍ ملأتُه لك حلوى
وقهوة بنتِ كَرْم صَفَتْ من الذمِّ صفوا
ما شُمشمت قطّ إلا سطت على الهمِّ سطوا
جَنَّبْتُها كلَّ وَغْدٍ يمحو المحاسن محوا
إلا إذا ما اقتنَصْنا عذبَ الخلائق حلوا

وشادنٍ ذى دلال يشدو فيلهيك شدوا
إما غناءً وإما عجائباً عنه تروى
حتى تظل بما فيـ ـه من وَقارِك خِلوا
وعندنا لك وَرْد يحدو المسرة حدوا
ريحانُه لا يُوازَى لوناً وعطراً وسَرْوا
فما اعتذارك فى أن تُفنى زمانَكَ صَحوا
وأنت بعد قليل بالصوم، والله، تُطْوَى

والناحية اللفظية فى هذه القصيدة رشيقة خفيفة مرقصة، وهى قصيدة جميلة بما فيها من سهولة ورقة وحسن تلطف وإغراء بالطعام والشراب والغناء والريحان. وترى فى هذا الوصف الخاص مقدمة لما كثر فى شعر الفاطميين والأيوبيين والمماليك من تعرض للحياة الخاصة فى مثل هذا الأسلوب.

وله من قصيدته التى تقدمت فى وصف « دير نهيا[1] » أبيات فى الربيع:

أو ما ترى وجه الربيع وقد زهت أنواره بنهارهِ المتألقِ
وتجاوبت أطياره وتبسمت أشجاره من ثغر زهر مُورق

---

(١) الديارات ١٢٨

لم يَغْدُها طل الرَّذاذِ ببرده حتى تفتَّح كل جفن مطبَق
والبدر فى وسط السماء كأنه وجهٌ مليحٌ من قناع أزرق

وللشاعر صالح بن موسى فى وصف الربيع وآثاره وأزهاره :

أو ما ترى حسن الريا ض وما اكتسين من الزهرْ
وجه الربيع وحبذا وجه الربيع إذا ظهر
الوشى يُنْشَرُ والملا حفُ والمطارِفُ والحبر
هذا البنفسَجُ فى الحِدَا دِ بغير حُزْن قد ظهر
وأتى البهارُ بِصُفْرةٍ فلكل حسن قد بهر
وكأن آذريُونَهُ كاساتُ خمر تُبْتَدَر
وكأنما المنثورُ عِقـ ـدٌ فى جوانبه انتثر
والأقحوان فضاحك عن عسجد فيه درر
وشقائق النعمان كالـ ـأعلام تَمَّ لمن نظر
وتوردَ الورد الذكـ ـى وفاحَ مسكا فى السحر
وتُجاوِبُ الطيرُ الغصو نَ بكل لحن مشتهر
فمغرِّدٌ حسن الغِنا ءِ شدا وآخرُ قد زَمَرْ
وتسرقت أنفاسنا بنسيم أنفاس السحر

وقد ترى شاعراً يقدم كتاباً إلى صديق له فيجعل التقديم شعراً ، كما فعل الحسن بن على الأسدى لما بعث « كتاب الأنيس » إلى صديق له :[1]

قد بعثنا بمؤنس لك فى الوحـ ـدة يدعى كتاب الأنيس

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦٨

فيه مايشتهى الأديب من العلـ ـم وفيه جلاء هم النفوس
فيه ما شئت من بدور معان ضاحكات إلى وجوه شموس
والنفيس البهى ما زال يهدى كل حين إلى البهى النفيس

وآثر من هذا العهد نوع من الشعر الذى سميناه الشعر القضائى . ومن ذلك أبيات قيلت فى هجاء القاضى أبى بكر بن الحداد سنة ٣٢٤ والطعن فى أحكامه[1] :

قولوا لحدادنا الفقيه العالم الماهر الوجيه
وليت حكما بغير عهد وغير عقد نظرت فيه
ثم أبحت الفروج لما وقعت فيها على البديه
هذا فعال حملت فيه وزرك مع وزر من يليه
وهل ترى ذا ولست فيه بجائز من مخالفيه
أنكرت حالا من ابن عمرو ما أنت فيه ومرتضيه
وخنت عهدا ، والله ربى لناقض العهد مبتليه
والمكر فى الناس داء سوء والعجب أيضاً لمرتديه

وكانت ولايته من جهة الإخشيد ، وكان رجلا فاضلا عالماً فلما رميت الرقاع فى المسجد تتضمن الطعن فيه ، ومنها هذه ، أجاب جماعة من المصريين عنها .

ومدحه شاعر اسمه أحمد بن محمد بن أبى الكحال بقصيدة يقول فيها :

كالشافعى تفقهاً والأصمعـ ـى تفكهاً ، والتابعى تزهدا

ومدحه محمد بن موسى المعروف بسيبويه بقصيدة فيها :

ما يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه صبى بحجر

(١) ملحق الكندى ص ٥٥٦

وولى قضاء مصر رجل يسمى عبد الله بن أحمد بن شعيب ، ويعرف بابن وليد . وكان القاضى محمد بن بدر يكرهه ولا يثق بأحكامه ولا بكاتبه ، فقال فيه من قصيدة طويلة[1] :

لو كنت تخشى قضيات المادى لما ... ألقيت فى كل أمر فاضح علما
أعمى عن الرشد فى كل الأمور فقد ... أصبحت فى الدين بين الناس متهما
يا ابن الوليد تدبر ما أتيت به ... ولا تكن للهوى مستكملا عمما
لو كنت تسمع قول الحق معتمدا ... أو كنت تخشى عذاب الله معتصما
لما استعنت بجهاد اللعين ، وما ... رأيت أنت له فى صالح قدما
جعلته كاتباً يمضى الأمور ولم ... يمس فى العلم قرطاساً ولا قلما

وقد تولى جماعة من المصريين هجاءه أيضاً .

ولكن هذا الشعر كله — على ما فى بعضه من جمال ورقة وطرافة — ترك الميدان لشعر المتنبى الذى روى الدهر قصائده معجباً بها ؛ فى مصر وفى غيرها أكثر من ألف عام .

المتنبى فى مصر :

كان المتنبى فى حلب شاعر سيف الدولة ، وكان يتعالى على الشعراء ويدل بنفسه وأدبه على الأمراء ، فكثر حاسدوه ، وملئوا نفس سيف الدولة ، فسخط عليه . وأحس المتنبى أن حلب لم تعد المنزل الكريم الذى كان ينزله من قبل ، ففارقها إلى دمشق غضبان أسفاً .

وكانت شهرة المتنبى الأدبية تملأ الآفاق ، فلما وصل إلى دمشق أراد ابن ملك

---

(١) ملحق الكندى ص ٥٧٠

اليهودى — حاكمها من قبل كافور — أن يمدحه أبو الطيب ، فأبى ، وتركها إلى الرملة ؛ حيث الأمير الحسين بن طغج الإخشيد ، فمدحه ، ثم مدح أبا القاسم العلوى بعد تمنع وإباء .

حرص كافور على المتنبى :

وكان كافور يقدر أدب المتنبى ، ويعرف فضله فى الإشادة بسيف الدولة ، ونشر اسمه فى الآفاق . فما إن أحس بالنفور بينهما ، وبانتقال المتنبى إلى دمشق حتى طلبه من ابن ملك . فلما ارتحل إلى الرملة طلبه من أميرها الحسين بن طغج الإخشيد .

مدحه وهجاؤه لكافور :

وجاء المتنبى إلى كافور بمصر فنزل عنده منزلا كريماً ؛ ولكنه جاء وفى نفسه أشد الأسف لفراق سيف الدولة ، والتبرم بالأعداء الذين أوقعوا بينهما ، والسخط على الأصدقاء الذين لا وفاء عندهم ، وكان كبير الآمال طامعاً فى الحكم . فقدم على كافور راجياً أن يهب له ضيعة أو ولاية ؛ ولهذا نرى أكثر شعره فى مصر يدور حول هذه الأغراض : الحنين إلى العهد القديم ، والأمل فى المستقبل الباسم عند كافور ، والشكوى من الأيام والناس لما لقى منهم ، والفخر بنفسه وبأصله . وقد تجد ذلك كله فى أول قصيدة مدح بها كافوراً ، لما وفد عليه سنة ٣٤٦ . وهى التى مطلعها :

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا ... وحسبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيا

تمنيتَها لما تمنيتَ أن ترى ... صديقاً فأعيا ، أو عدوا مُداجِيا

ومنهـا :

حَبَبْتكَ قلبي قبل حُبِّكَ من نأى ... وقد كان غدارا فكن لِيَ وافيا

وأعلمُ أن البـين يشكيكَ بعده ... فلست فؤادى إن رأيتُك شاكيا

وتحدث عن خيله التى سارت :

قواصدَ كافور توارِكَ غـيره ... ومن قصدَ البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه ... وخلَّتْ بياضا خلفها ومآقيا

ثم يخاطبه فيقول :

أبا كُلِّ طيبٍ ، لا أبا المسكِ وحدَه ... وكلَّ سحابٍ ، لا أخُصُّ الغَـواديا

ويسأله ما يريد فى قوله :

وغيرُ كثير أن يزورَكَ راجلٌ ... فيرجعَ مَلْكاً للعراقين واليـا

فقـد تهب الجيش الذى جاء غازياً ... لسائـلك الفردِ الذى جاء عافياً

ويقول صاحب الصبح المنبى (١) إن أبا الطيب سأل كافوراً أن يوليه صيداء من بلاد الشام ، أو غيرها من بلاد الصعيد فأبى ، وألح أبو الطيب ، فقال لكافور فى شوال سنة ٣٤٧ هـ :

أبا المسك هل فى الكأس فضلٌ أناله ... فإنى أغَنِّى منذ حين وتشربُ

وهبتَ على مقدار كَفَّيْ زماننا ... ونفسى على مقدار كفَّيك تطلبُ

إذا لم تَنُطْ بى ضَيْعةً أو ولاية ... فجودك يكسونى وشغلك يسلبُ

ولا تخلو قصائده بعد ذلك من هذه المعانى أو أكثرها ، وقد يضيف إليها عتابا أو استبطاء ، ولكن كافورا اكتفى بالمال الذى كان يهب له ، والتكريم الذى كان يخصه به . ولم يعطه ضيعة ولا ولاية . فامتنع المتنبى عن مدحه زمناً ، وضاق ذرعاً

---

(١) هامش العكبرى جـ ١ ص ١١٥

به وعن حوله ، وما لقيه منهم من جفاء وإعراض ، وحبسه كافور عن الرحيل ، فاحتال حتى خرج من مصر في يوم العيد سنة ٣٥٠ بعد أن قال في هجاء كافور قصيدة دالية مقذعة مطلعها :

عيدٌ بأية حال عدت يا عيدُ   بما مضى أم بأمر فيك تجديد

وطعن فيها كافورا طعنات جارحة إذ يقول :

إني نزلت بكذابين ، ضيفهمُ   عن القِرَى وعن التَّرْحال محدودُ
جُودُ الرجال من الأيدى ، وجودهُمُ   من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ !
ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهمُ   إلا وفى يده من نَتْنِها عودُ
من كل رِخْوِ وِكاءِ البطنِ منفَتِقٍ   لا في الرجال ولا في النسوان معدودُ
أكلما اغتال عبد السوء سيدَهُ   أو خانه فله في مصر تمهيدُ !
صار الخَصِى إمام الآبقين بها   فالحرُّ مستعبَدٌ ، والعبد معبود
نامت نَواطِيرُ مصر عن ثعالبها   فقد بَشِمْنَ وما تفنى العناقيدُ
العبد ليس لحر صالح بأخٍ   لَوْ أنه في ثياب الحرِّ مولود
لا تشترى العبدَ إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

إلى آخر هذه القصيدة .

وهجاه ، وذم أهل مصر معه ، وحرض على قتله ، فقال :

سادات كلُّ اناسٍ من نفوسهمُ   وسادةُ المسلمين الأعْبُد القُزُمُ
أغايةُ الدين أن تُحفوا شواربَكم   يا أمةً ضحِكت من جهلها الأمَم
ألاَ فتى يورِدُ الهندىَّ هامتَه   كيما تزولَ شكوكُ الناسِ والتهم !

ويقول فى مصر وما فيها من المضحكات وانقلاب الأوضاع كارتفاع الوزير ابن الفرات وكافور ، اللذين سادا وخضعت لهما الرقاب .

وكم ذا بمصرَ من المضحكاتِ ولكنه ضحكٌ كالبُكا
بها نَبَطىٌّ من أهل السواد يُدرِّسُ أنساب أهل الفلا
وأسود مِشْفَرُه نصفُه يقال له أنت بدرُ الدُّجى !

أراد بالنبطى الوزير ابن الفرات . وأراد أن يثير أهل البلاد على كافور ووزيره ـ فاتهمه بقتل مولاه بعد خيانته ، وعجب أن يكون ذلك مبرراً للحكم فى مصر ، وتحدث عن أصله الذى لا يرفعه إلى أى مقام ، بله الإمارة ، وحرض عليه علانية « كيما تزولَ شكوكُ الناس والتهم » .

بعض خصائص المدح والهجاء عنده:

ويظهر أن المتنبى اعتمد كثيراً على اسم كافور وأصله وجسمه ولونه فى مدحه وهجائه له ، كما كان يحاول ذلك فى أكثر مدحه وهجائه ، وتراه يحسن الانتفاع بذلك إلى حد كبير ، فيجعل أبا المسك « أبا كلِّ طيبٍ لا أبا المسكِ وحدَه » . ويرى أن كنيته بأبى المسك ليست من ذلك العطر الأسود ولكنها من عاطر الثناء عليه :

وبِمِسك يكنى به ليس بالمسـ ـك ولكنه أريجُ الثناء

وأن سواد الجلد ليس أمراً إذا قيس ببياض النفس وصفائها :

إنما الجلدُ ملبسٌ ، وابيضاض النَّـ ـفسِ خيرٌ من ابيضاض القَباء

بل جاوز المتنبى هذا الحد ، فجعل السواد أمنية الملوك ، ولكن من لهم به !

مَنْ لبيض الملوك أن تبدَّلَ اللـ ـوْنَ بلوْنِ الأستاذِ والسحناء

ولكنه حين يسخط ويقسو على كافور يذيقه العذاب الأليم من هذه العيوب فيجعله — فيما رأينا — « رِخْوَ وكاء البطن » ، لا بعد فى الرجال ولا فى النسوان ويجعله « أَمة حبلى » « وأسود مشفره نصفه » ، وينكر عليه أن يصل إلى أى فضل أو مكرمة لأنه وضيع الأصل :

من عَلَّم الأسودَ المخصيَّ مَكْرُمَةً ... أقومُه البيضُ أم آباؤه الصِّيد
أم أذْنه فى يد النخاسِ دامية ... أم قدره وهو بالفَلْسَيْن مردود

ويصغره بتصغير اسمه ، فيقول :

أولىَ اللئام كُوَيْفِيرٌ بمعذرة ... فى كل لؤم ، وبعضُ العُذْر تفنيدُ
وذاكَ أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميل فكيف الخِصْيَة السود

ويسخر منه فيقول :

ويعجبنى فى النعل رجلاك إننى ... رأيتُك ذا نَعْل إذا كنتَ حافيا
وإنك لا تدرى ألونك أسود ... من الجهل ، أم قد صارأبيض صافيا

ويجعله غاية فى إثارة الضحك وطرد أحزان الثكالى ، فيقول له :

ومثلك يؤتَى من بلادٍ بعيدةٍ ... ليضحك رباتِ الحِدادِ البواكيا

أما أصل كافور فكان موضع عناية أبى الطيب مدحاً وهجاء ، وكان يبدع حينا يغالط على طريقة الشعراء ، فيجعل أفعال كافور تغنى عن النسب فيقول :

ويغنيك عما ينسُب الناس أنه ... إليك تناهى المكرُمات وتُنسب
وأى قبيل يستحقكَ قدرُه ! ... مَعَدُّ بن عدنان فداكَ ويَعْرُب

ثم هجا أصله فرده أسفل سافلين ، وذمه وذم كل عبد معه إذ قال : « إن العبيد

لأنجاس مناكيد » وقال : « العبد ليس لحر صالح بأخ » ، وشعراً كثيراً فى رقه ، وبعده عن المكارم لضعة أصله ، وبطء نسبه .

وكان هذا الاعتماد على اللون والاسم والأصل والجسم إبداعاً من المتنبى فى عصر ساد فيه البديع ، ولكنك لا تحس بشىء من التكلف فى تلاعب المتنبى باسم كافور أو لقبه أو لونه ، إذ أنه كان يرى بعقله وذكائه مواطن المدح والذم فى هذه النواحى ، فيصوغها صياغة فريدة تبعدها عن التكلف والثقل .

حساده بمصر :

وكان لأبى الطيب حساد بمصر نقدوا أدبه ، وحرفوا معانيه ، وتتبعوا عثراته ، ومن هؤلاء : الوزير جعفر بن الفرات الملقب بابن حنزابة ، ومحمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى ، والشاعر صالح بن مؤنس ، وكان أصل هذا الحسد أو العداوة أن المتنبى أبى أن يمدح هذا الوزير فسخط عليه ، وأثار خوف كافور منه . فكان سبباً فى حرمانه أن ينال ضيعة أو ولاية كما كان يرجو .

أما سيبويه المصرى فكان نحوياً أديباً ناقداً ، ولعل ابن حنزابة أثاره على المتنبى فكان يتلمس أخطاءه ويذيعها . ومن ذلك أنه عاب عليه قوله :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أنالُهُ فإنى أغنى منذُ حينٍ وتشربُ

وعد ذلك استهانة بكافور واتهاماً له بالبخل ، وعد من قلة الذوق أن يقول المتنبى لكافور :

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرَب

وقال إنه جعل الأمير كالقرد يتزاحم الناس عليه ليطربوا برؤية الاعيبه .

ويُجهِّل المتنبى بالنحو لأنه رفع الفعل (أطربُ) والواجب أن ينصب لأنه معطوف على « أرى » .

وروى أن سيبويه كان يقول : مدح الناس المتنبي لقوله :

ومن نكَدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى عَدواً له ما من صداقته بُدُّ

ولو قال : « من مداراته أو مداجاته بد » لكان أحسن . وقيل إن المتنبي احتاز به فقال له : بلغني أنك أنكرت على قولي : « عدواً له ما من صداقته بد » فما كان الصواب عندك ؟ فقال له : إن الصداقة مشتقة من الصدق فى المودة ، ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب فى مودته ، فالصداقة إذاً ضد المداوة ، ولا موقع لها فى هذا الموضع » . وجاءه بشاهد من الشعر . فتبسم المتنبي وانصرف وسيبويه يصيح عليه : أبكم الرجل وجلال الله[1] .

وقول المتنبي قول شاعر يتصرف فى اللغة أكثر من حدود القواميس . ولا أظنه كان يعجز عن الرد على سيبويه ، وأن يخرج البيت على أن المراد بالصداقة آثارها كالتبسم والتلطف والمجاملة الخ ، ولكن المتنبي أهمله هنا كما أهمل ابن خالويه وأمثاله فى الشام ، وأظن ابتسامته بعد ما سمع نقد سيبويه كانت ابتسامة استهزاء .

على أن المدح الذى يشمل من المعانى ما يجرح كافورا أو يحقر من شأنه كان أشد فعلا فى نفس كافور ، كالبيت المتقدم ، « وما طربى لما رأيتك بدعة » .

وقوله :

ولله سر فى علاك ، وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

وكذلك كان إكثار أبى الطيب من الإشارة إلى سواده فى مدحه ؛ مهما أجاد فى ذلك .

وكان للمتنبي بمصر من يعجب به ويروى شعره من الأدباء ، كأبى على صالح ابن رشدين الكاتب الشاعر . يقول فيه صاحب يتيمة الدهر[2] « أحد أئمة الكتاب ، المهرة فى سائر الآداب ؛ صحب المتنبي وروى شعره » .

---

(١) الصبح المنبى ص ١١٨ وما بعدها على هامش العكبري ج ١

(٢) ج ١ ص ٣٥٧

ومنهم عبد الله بن أبي الجوع الأديب الكاتب الشاعر « أحد رواة المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر فى لغة العرب ، وأجاد أنواع الأدب[1] » .

وسبق له بعض الشعر الجميل .

وصف مصر :

ويؤخذ على المتنبي أنه فتح عينيه على جمال الريف المصرى ، وعظمة النيل ، وضخامة الأهرام ، فلم تحرك مشاعره هذه المناظر ، ولم تثر خياله تلك العجائب ، ولم يؤثر عنه إلا بيت واحد فى الأهرام ، قاله عرضاً فى رثاء فاتك أبى شجاع : وهو

أينَ الذى الهرمان من بنيانِهِ ما قَوْمُه؟ مايَوْمُه ؟ ماالمَصْرَعُ؟
تتخلفُ الآثار عن أصحابها حيناً ، ويدركها الفناء فتَتْبَعُ

والحق أنه كان منصرفاً عن هذا كله ، كما انصرف عما رأى بالشام من جمال المناظر وسحر الطبيعة ، لأنه كان مشغولا بأشياء أخر ملكت عليه فؤاده وشعوره ؛ كطلب المال والولاية ، فانصرف إلى المدح والهجاء والفخر وشكوى الزمان وسوء الحظ ، ولو أنه انصرف إلى شيء من وصف الطبيعة والآثار لجرى لسانه بالسحر الحلال ، كما فعل عندما وصف شعب بوان ، عرضاً ، وهو ذاهب إلى مدح عضد الدولة .

وصف الحمى :

وقد أثرت ظروفه الخاصة فى شعره ، ومن ذلك قصيدته التى يصف فيها الحمى لما أصابته بمصر ، وصفاً بديعاً يعد من عيون الشعر العربى ، واستقلت القصيدة به إلا قليلا من الأبيات التى لم تخل من شكوى أو حكمة أو شبه ذلك ؛ فإنه شكا فيها النفاق

---

(١) اليتيمة جـ١ ص ٣٥٣

وشك فى الود . ولعل الدافع إليها كان الشكوى من الزمان ، والرغبة فى الفخر أكثر من وصف الحمى حيث يقول :

فلما صار وِدُّ الناس خِبًّا ... جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمى أنه بعضُ الأنام

ومنها :

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمام

ويبدأ حديثه عن الحمى وما فعلت به فيقول إنها أقعدته وألزمته الفراش ، واستمع إليه وهو يقول :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى ... تخب بى المطى ولا أمامى
وملَّنِىَ الفراشُ وكان جنبى ... يَمَلُّ لقاءَه فى كل عام
قليلٌ عائدى ، سَقِمٌ فؤادى ... كثيرٌ حاسدى ، صعبٌ مرامى
عليلُ الجسمِ ، ممتنع القيامِ ... شديدُ السكر من غير المُدَام

وكانت تزوره غبا ، وتضنيه ليلا ، وتوسعه سقاما ، وتغرقه فى عرقه ، وكان يخشى موعدها ، ويكره صدقها ، ويحس بذلك كله فى نفسه ، فينطلق به لسانه مصبوغاً بصبغة أدبه من قوة التعبير ، وضخامة الألفاظ ، وحسن التعليل وجمال الخيال فيقول :

وزائرتى كأنَّ بها حياءً ... فليسَ تزورُ إلا فى الظلام
بذلت لها المَطارِفَ والحشايا ... فعافَتْها وباتَتْ فى عظامى
يضيقُ الجلدعن نَفْسِى وعنها ... فتوسعُه بأنواع السقام

وانظر إلى التعليل الغريب لما يصيبه من عرق الحمى عند انتهاء نوبتها إذ يقول :

إذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنَّا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى ... مدامعُها بأربعة سجام

أراقبُ وقتها من غير شوق مراقبةَ المشوقِ المستهام
ويصدُقُ وعدُها ، والصدقُ شرٌّ إذا ألقاك فى الكُرَبِ العِظام

ويعجب من وصولها إليه على رغم الشدائد التى تزاحمت ، وكانت جديرة أن تحول بينها وبينه فيقول :

أبنتَ الدهرِ ، عندى كلُّ بنتٍ فكيفَ وَصلتِ أنتِ من الزِّحام !
جرحت مُجرَّحاً لم يبق فيه مكانٌ للسيوف ولا السِّهام

ثم يحرص على أن يتخلص إلى الفخر والشكوى فيقول :

يقول لى الطبيب أكلت شيئاً وداؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبِّهِ أنى جَوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجمام

ثم يقول :

فإن أمرض فما مرض اصطبارى وإن أُحمَمْ فما حُمَّ اعتزامى
وإن أسلم فما أبقى ، ولكن سلمتُ من الحِمام إلى الحِمام

ونرى كثيراً من الأبيات التى تسير مسير الأمثال فى هذه القصيدة ، كما نرى بعض المعانى المتأثرة بالفلسفة فى صورة أدبية قوية كالبيت الأخير .

صلته بأبى شجاع فاتك .

وهناك وال آخر مدحه المتنبي بمصر ، ورثاه بعد موته ، وصدقه المحبة فى شعره مادحاً ورائياً ، هو أبو شجاع فاتك ، الذى كان مولى للاخشيد مع كافور . وكان يحكم الفيوم ويقيم بها ، واشتدت به العلة فقدم مصر للتداوى سنة ٣٤٨ ، وأبو الطيب فيها . وكان يسأل عنه قبل أن يراه ؛ ثم التقيا ، وأهدى إليه فاتك هدايا متتابعة كانت أولاها ألف دينار . فاستأذن أبو الطيب كافوراً فى مدحه فأذن له ، فمدحه

بقصيدة من خير قصائده مطلعها :

لا خيلَ عندكَ تهديها ولا مالُ فَلْيُسْعِدِ النطقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ
واجْزِ الأميرَ الذي نعماه فاجئةٌ بغيرِ قولٍ ، ونُعمى الناسَ أقوالُ

وكان فاتك يلقب المجنون لشجاعته فقال فيه .

وقد يلقبه المجنونَ حاسده إذا اختلطن وبعض العقل عُقَّالُ
إذا العدى نشبت فيهم مخالبه لم يجتمع لهمُ حلم ورئبالُ

وظل المتنبي وفياً له بعد موته فرثاه بعد أن ترك مصر سنة ٣٥٠ فى القصيدة العينية التى مطلعها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصيٌّ طيِّعُ

وهى من المراثى الفائقة . ورثاه بأبيات فى قصيدة أخرى قالها بعد خروجه من بغداد سنة ٣٥٢ مطلعها :

* حتام نحن نسارى النجم فى الظلم *

وقد ضرب مثلا عظيما فى الوفاء بهذا الرثاء .

ثم يأتى الفاطميون إلى مصر وتستقل عن العباسيين استقلالا يظهر أثره فى أدب العصر التالى .

obeikandl.com